# السلام فى الإسلام

**الأستاذ الدكتور /عبد الغفار حامد هلال**

أستاذ اللغة العربية بجامعة الأزهر

مصر

**مقدمـــة :**

إن كلمة السلام لها أهميتها فى قواميس اللغة العربية فهى بحروفها (السين واللام والميم) وما يضاف إليها من حروف أخرى تدل على معنى السلامة من الآفات والشرور والأضرار، ولأهميـــة معناها وإسهامه فى صلاح الأمور وجدناها تتنوع فى كلمات كثيرة من الفعل الماضى: سَلِم وســلّم وأسلم وسالم واستسلم، والمضارع: يسلم ويسالم ويستسلم، والأمر: أسلِم وسلّم واستسلم، ومن هــذه الأفعال تأتى مشتقات متعددة، منها: السلام والمسالمة والسلم والتسليم، إلى غير ذلك، وكلها تــدور حول معنى السلامة .

والناظر والقارئ لكتاب الله تعالى يجد هذه الكلمة وتصريفاتها واقعة فى مواضع شتى منه بهذه الصور وتلك التصريفات، وتدل فى كل موضع على الأمان، والاطمئنان، والاستقرار، والهــدوء، والسعادة الفردية والجماعية .

والقرآن الكريم تتردد فيه هذه الكلمة سامية المعنى لتصور العلاقات المتنوعة بــين الإنــسان وخالقه، والإنسان وذويه، والإنسان وأصدقائه، والإنسان والمحيطين به ، وقد وردت كلمة الــسلام فى معظم سور القرآن الكريم لتعبر عن هذه العلاقات متعددة الجوانب.

إن الإسلام هو رسالة الله تعالى إلى العالمين منذ خلق الدنيا وإلى أن يرث الله الأرض ومــن عليها، والأحكام التى جاءت بها الكتب السماوية : التوراة والإنجيل والقرآن الكريم إنما جاءت دعوة إلهية إلى السلام؛ فهى التى وضعت حد العدالة واضحًا بين الناس؛ ليعيشوا فى سلام مستظلين بظل

هذا الهدى الإلهى، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ... ﴾ (١).

فالأنبياء مسلمون منذ خلق الله الأرض ينشرون السلام بين الناس، وقد جاء نبينا محمد ﷺ ليتوّج الرسالات السماوية بالسلام الشامل فى العبادات والعبارات والمعاملات والسلوكيات الأخلاقية، وقد دعا الناس إلى الدخول فى الإسلام منذ اللحظة الأولى لنشر الدعوة الإسلامية وتجلَّى ذلك فيما بعث به إلى أهله وذويه والمحيطين به والناس جميعًا من كتب ورسائل تحمل كلمة الإسلام عنوان السلام والأمان، وقد كانت كتبه ﷺ إلى الملوك والرؤساء عنوانًا بارزًا لذلك؛ فيقول لهرقل قيصر الروم فى كتابه: (من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم .. أما بعد، السلام على من اتبع الهدى، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين) وهكذا كانت عبارته لكسرى وعظيم القبط والنجاشى وغيرهم ممن بلغتهم كتب الرسول الكريم لنشر الدعوة الإسلامية بأسلوب الطمأنينة والأمان، وقد كانت الدعوة إلى السلام هى وحى الله إليه كما قال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ (٢) أو كما قال عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (٣).

وهذه هى أمارة المودة الفطرية التى تنبع من الدين الإسلامى الحنيف الذى جاء بمبادئه الداعية إلى السلام ؛ فالدخول فى الإسلام يكون أصلاً للأمن، والاستقرار، والمسالمة، وإنقاذ الإنسان من حيرته وشكوكه وقلقه ونزعات العنف التى بين جنبيه، فشريعة الله التى بُعث بها محمد ﷺ إكمالاً لشرائع الرسل من قبله فيها الأمن والطمأنينة من الآفات كلها .

---

(١) المائدة : ٤٤ .

(٢) النحل: ١٢٥ .

(٣) فصلت : ٣٣ــ ٣٥ .

فالصلاة أمن للنفس وراحة لها، والزكاة أمن للأموال وزيادة فيها، والصوم أمن للروح وطمأنينة وصقل لها لتجابه المكاره وتعين على تحملها. والحج أمن للمؤمن، وإحاطة له بالعناية والرعاية فى هذا الحرم الآمن، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ (١).

والمعاملات بمبادئها الإسلامية تعين على تحقيق الأمن والاستقرار فى المجتمع المتعاون والمتماسك .

والسلوكيات والأخلاق أمن وأمان وسلام للمجتمع من الآفات والأرزاء.

والإسلام جاء بمبادئ السلام؛ لأنه اتجاه إلى الخالق الذى سمّى نفسه «السلام» وسمى دينه الإسلام؛ لأنه إخلاص للمولى سبحانه، واتجاه إليه، وعلاقة آمنة فى رحابه.

والقرآن الكريم جاء محققًا لهذه الغايات قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢)، فالقرآن يكشف ظلمات الشرك والشك، ويوضح للناس ما كان خافيًا عنهم من الحق، واتباع رضوانه يؤدى بالإنسان إلى الطريق الأمثل: طريق السلامة والنجاة من عذاب الله.

والمسلمون مأمورون بإظهار السلام للآخرين؛ فالمسلم داعية للخير؛ لأنه خاضع لأوامر ربه، مُعرِض عن تيارات الفتن والأهواء كما قال تعالى: ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٣)، فهى دعوة لوحدة المجتمع الإنسانى فى طريق السلام، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (٤)، فالمؤمن يخلص نفسه لله، ويجعلها سالمة لله، لا تعرف ربًّا سواه، ويعمل الحسنات ويترك السيئات؛ ليعيش مع الناس فى سلام ووئام.

---

(١) العنكبوت: ٦٧ .

(٢) المائدة: ١٥، ١٦ .

(٣) الأنعام : ٧١ .

(٤) النساء: ١٢٥ .

والمولى عز وجل يطلب من رسوله الأمين أن يعلن للناس جميعًا أنه رسول السلام قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (١)، فلست يا محمد من أصحاب الأهواء أو النزعات الجامحة الذين يريدون إثارة القلاقل والشغب، بل أنت خاضع لحكم ربك بالسلم والمحبة ونشر العدالة بين الناس.

إذا كانت العلاقة بين الإنسان وخالقه تقوم على هذا النحو الواضح من مبادئ السلام فى العبادات والأخلاقيات، فقد نظم الإسلام العلاقة بين الإنسان وذويه وجيرانه على أساس السلام والمودة، فالعلاقات تقوم على حسن التعامل، والترابط الوثيق بين الأفراد والمجتمعات؛ لتحيا البشرية حياة الأخوة العامة التى يوقّر فيها الناس بعضهم بعضًا؛ فيشعرون بأنهم كالجسد الواحد الذى إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا.

وقد أسس الإسلام هذه العلاقات على التعارف والتواد؛ لأن الناس أسرة واحدة مهما اختلفت أجناسهم أو أوطانهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (٢).

كما جعل الإسلام الاحترام المتبادل مُقوِّمًا مُهِمًّا للترابط بين الناس، لا فضل بين ذى حسب ونسب أو غيره، ولا بين غنى وفقير، ولا بين حاكم ومحكوم، كلٌّ على قدم المساواة يتعامل ويتفاعل مع الآخرين، وقد حث المسلمين على إلقاء التحية وإفشاء السلام بين الناس؛ تحية التقدير والاحترام: (السلام عليكم ورحمة الله ) فمجتمع الإسلام لا يعرف الانطوائية أو العزلة الفردية أو الجماعية، ويدعو إلى الوحدة الشاملة بين المسلمين عامتهم وخاصتهم فيقرر الإسلام أن يُحيى المسلم أخاه بقوله: (السلام عليكم ورحمة الله) إذا لقيه فى مكان ما أو مَحفل ما، أو فى الطريق العام؛ لعل ذلك يفتح باب المخالطة والعشرة ومدارسة المشكلات التى تعوق مسيرة الحياة عند كل منهما ليتحقق الأمن والسلام، وعلى كل من يقابل أخاه أن يُجِيبه ويبادر قبل أخيه بإلقاء السلام، وهنا يتضح أنه فَرْضٌ على السامع أن يرد التحية ويجيب عليها كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟

(١) الأنعام : ١٥ .

(٢) الحجرات : ١٣ .

﴿ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [1]، فإذا قال المسلم: السلام عليكم، فعلى المجيب أن يزيد قائلا: وعليكم السلام ورحمة الله، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله، قال المجيب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وروى أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: السلام عليكم، فقال له الرسول ﷺ: وعليكم السلام ورحمة الله، ومَرَّ آخر فقال: السلام عليك ورحمة الله؛ فقال له الرسول ﷺ: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، ومَرَّ ثالث فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال له الرسول ﷺ: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فقال الرجل نقصتنى، فأين ما قال الله؟ وتلا الآية، فقال له الرسول ﷺ: إنك لم تترك لى فضلاً فرددت عليك مثله.

وروى عن بعض العلماء أن من قال لآخر: أقرِئ فلانًا السلام، وجب عليه أن يفعل ، وإذا كان السلام سنة فإن الرد فرض، وعن ابن عباس: الرد واجب، وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه إلا نزع عنهم روح القدس، وردّت عليه الملائكة.

وفى هذه التحية ما يشعر بأن المتلاقين أفرادًا وجماعات ينشرون السلام فى الأرض حتى يصبح الناس فى أعمالهم وحركاتهم وليلهم ونهارهم آمنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وأهليهم وأوطانهم، لا يجدون غربة أو خوفًا أو قلقًا من لقاء بعضهم بعضًا؛ لأنهم يلتقون تحت مظلة الإسلام الذى يعنى المسالمة والمودة بين الناس .

بل يمتد الإسلام إلى أبعد من ذلك؛ فيتحقق السلام لغير الملتقين، كأن يحمل مسلم السلام من صديق إلى صديق ليس فى المجلس أو المكان الذى يمر فيه، فيذكره بالأمان والسلام.

وهذا الصفاء النفسى الرائع الذى دعا إليه الإسلام يشمل باطن الأمن وظاهره، فالمؤمن طاهر الباطن والظاهر، ولذا ورد أن النبى ﷺ كان يتطهر أو يتيمم للسلام والتحية أحيانًا، واستحب بعض العلماء أن يتطهر الإنسان ليرد على السلام.

وتمتد التحية والتقدير من المجتمع العام إلى المجتمع الخاص فى الأسرة؛ لتترابط فيما بينها وتسودها الألفة والوئام والتعاون لحل مشكلات الحياة، فالرجل المسلم يسلم على أهله وزوجته وولده، وهم يفعلون ذلك معه، فكل ذلك ينشر السلم الحقيقى داخل الأسرة التى تعد خلية من خلايا المجتمع الكبير.

وقد وضع الإسلام بعض القواعد للتحية مبينًا فضل من يبادر بالسلام على الآخر وفق التقاليد الإسلامية التى تجب مراعاتها؛ فالراكب يسلِم على الماشى، والقائم على القاعد، والصغير على

(١) النساء: ٨٦ .

الكبير، والأقل على الأكثر، وكلها قواعد تجعل الوقار أمرًا سائدًا مَرْعِيًّا.

والسلام فى الإسلام طلب للأمن، فهو وثيقة وعهد بين الملتقين على عهد الله لا ينبغى أن يخان أو يهمل، بل إذا لَقِى المسلم إنسانًا فَألقَى عليه السلام فهذا طلب للأمان، فعلى المسلم ألا يخل بهذا العهد، وأن يلبى طلب الملقى للتحية، فلا يناله بسوء، وقد نَهى الإسلام عن أن تَنْتَهِك حُرْمة شخص مد يده إليك مُسَلِّمًا أو ألقى عليك تحية الإسلام ولو كان كافرًا.

فإذا سلّم عليك غير المسلم رددت عليه التحية مُؤَمِّنًا له، وناشرًا للسلام الذى ينشده منك وهو يخاطبك أو يعاملك معاملة اجتماعية، أو يلتقى بك لغرض ما، فلا تحرمه من أن تضمن له الأمن والسلام وتوفره له، ومن خرج على ذلك فإن الإسلام يمقته، ولا يرضى عن تصرفه بل يعاقبه على ذلك، فما دام قد أعلن أنه يطلب الأمان بالسلام فيجب أن يجاب لطلبه .

وقد حدث أن مرداس بن نهيك رجلاً من أهل فدك أسلم ولم يسلم من قومه غيره، فغزتهم سرية لرسول الله ﷺ كان عليها غالب بن فضالة الليثى، فهربوا وبقى مرداس لثقته بإسلامه، فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد، فلما تلاحقوا وكبروا ونزل قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، السلام عليكم، فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه، فأخبروا رسول الله ﷺ فوجد وَجْدًا شديدًا وقال: قتلتموه إرادة ما معه، ثم قرأ على أسامة قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ** ﴾ (١)، فقال أسامة : يا رسول الله استغفر لى، قال: فكيف بلا إله إلا الله؟ قال أسامة: فما زال يعيدها حتى وددت أن لم أكن أسلمت إلا يومئذ ، ثم استغفر لى ، وقال: أعتق رقبة.

وقد أمر الرسول ﷺ أن يُعْلِن السلام للناس متى وجد منهم مسالمة وإقبالاً على شرع الله، وليس له أن ينتقم أو يظهر العداء، بل إذا وجد منهم اتجاهًا إلى الحق والعدل حياهم وأمنهم ونشر السلام بينهم لتزول جذور العداوة ويعرفوا أن الإسلام جاء للهداية لا للانتقام والعدوان، قال تعالى:﴿ **وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ** ﴾ (٢).

وهذا إبراهيم عليه السلام قد أعطى أباه الأمن مع أنه كان يزعجه ويُقْلِقه بعبادة غير الله، وهذه تربية أخلاقية ودعوة بالحسنى لعله يثوب إلى رشده، فلم يعامل أباه بتهديده أو وعيده وإنما يلقى

---

(١) النساء : ٩٤.

(٢) الأنعام : ٥٤ .

عليه السلام ، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ (١)، ومعنى الرجم الرمى باللسان ، يريد الشتم والذم ، أو القتل، أو الطرد والرمى بالحجارة، وهذه كلها أمور لا تليق من والد يدعوه ابنه النبى إلى الحق، لكن الابن صبر عليه ووعظه كثيرًا، ولما يئس منه ألقى عليه التحية والسلام بعد أن نصحه.

وعلى الناصح أن يترك المنصوح إذا لم يستجب له لعله يثوب إلى رشده، ويدعو له بالرشد، وإنما استغفر إبراهيم لأبيه، قال تعالى: ﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (٢) لأنه وعده أن يؤمن كما قال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ (٣).

**آداب الاستئذان:**

جعل الإسلام مبدأ الاستئذان من الأخلاق السلوكية النبيلة حتى لا يطلع أحد على عورات المسلمين ولا ينتهك الحرمات، فوضع سياجًا وحدودًا لدخول البيوت واحترام الأعراض؛ فلا يهيم أحد على بيت صاحبه، ولا يدخله بغير إذنه، ولا أن يلغى له أمنه وسلامه، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (٤)، والاستئناس هو خلاف الاستيحاش، فالذى يطرق باب غيره لا يدرى أيؤذن له أم لا؛ فإذا أذن له استأنس وفى الاستئناس استعلام واستكشاف، من آنس الشيء إذا أبصره ظاهرًا مكشوفًا، فالمطلوب الاستكشاف والاستعلام عن مكان الدخول من عدمه، وفيه أيضًا معنى الأنس، وهل أهل البيت فيه أَمْ لا؟ وعليه

(١) مريم : ٤٦، ٤٧ .
(٢) الشعراء : ٨٦ .
(٣) التوبة : ١١٤ .
(٤) النور : ٢٧ .

قبل الدخول أن يُشْعِر أصحاب البيت بأنه مهتم بالدخول دون تهجم، وذلك بإعلامهم بشروعه فى الدخول بأن يسبح أو يكبر أو يتنحنح، فقد روى عن أبى أيوب الأنصارى ﷺ أنه قال: قلنا: يا رسول الله ما الاستئناس المقصود فى الآيات؟ قال: يتكلم الرجل بالتسبيح، والتكبير، والتحميد، ويتنحنح ؛ يؤذن أهل البيت. ومعنى التسليم أن يلقى السلام قائلاً: السلام عليكم طالبًا الدخول، فإن أذن له وإلا رجع .

بل بلغ الأمر فى اهتمام الإسلام بالإذن أن قرر استئذان الرجل على أهل بيته، فقد روى أن رجلا قال للنبى ﷺ : أأستأذن أمى قال: نعم. قال: إنها ليس لها خادم غيرى ! أأستأذن عليها كلما دخلت ؟ قال: أتحب أن تراها عريانة . قال الرجل: لا . قال: فاستأذن.

**الحفاظ على أمن المسلمين والعالم وسلامته:**

إن الإسلام لا يعادى أحدًا وإنما يحب التواد ونشر الصفاء، غير أنه يحافظ على أهله أن يصيبهم مكروه أو يحل بهم ضيم، وهو المنقذ للبشرية من ضلالها والذى يصل بها إلى الأمان بالسلام، فإذا أحس أن الدعوة الإسلامية مهددة بالعدوان عليها لجأ إلى نصح الأعداء ألا يقفوا فى طريقه؛ لأنه يحمى دعوته وأهله، فإذا رأى أن الخصوم مصممون على النيل منه ومن أهله طلب من أتباعه أن يهبوا للدفاع عنه، قال تعالى: ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ..** ﴾ [1]، ويقول تعالى: ﴿ **وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ** ﴾ [2]، فالإسلام بهذا يضع المبادئ ذات الحدود الواضحة التى تُؤَمِّن من ليس من أهل القتال كالشيوخ والنساء والأطفال والرهبان.

وهو يستعمل الدفاع عن الدعوة وعن النفس فى حدود المطلوب فقط لا يزيد على ذلك شيئًا؛ إذ إن دفاعه ليرد الباغى عن عدوانه، فإذا وجد أن الباغى وقف عند حده لم يزد على ذلك بل يحقق السلم المطلوب للأعداء والأصدقاء، قال تعالى: ﴿ **فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ**

(١) الحج : ٣٩، ٤٠ .

(٢) البقرة : ١٩٠ .

﴿ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴾ (١) فإذا لاحت بادرة فى الأفق تشير إلى رغبة الطرف المحارب فى السلام طُلب من المسلمين الاستجابة الفورية لداعى السلام دون تأخير؛ إذ إن الحرب ليست هدفًا فى ذاتها للإسلام، بل يلجأ إليها فى أقصى الظروف؛ فالجرّاح لا يستعمل المبضع للجراحة إلا إذا فشلت جميع وسائل العلاج الأخرى. فإذا عاد الطرف الآخر إلى رشده فعلى المسلمين الاستجابة السريعة ، قال تعالى:﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (٢).

وأهل الإسلام دعاة سلام لا دعاة حروب، فمهما وجدوا من الآخرين حيفًا أو تلويحًا بالعدوان واجهوا ذلك بالصبر والمتاركة والسكينة والوقار دون إثارة للشغب أو العنف ، قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ (٣).

فالمؤمنون هينون لينون يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا أشرين ولا بطرين، وإذا عاسر غيرهم ياسروا، ويخاطبون غيرهم بالسلام دون استجابة لعوامل الشر المذكورة فى طباع الآخرين؛ فالمؤمنون حكماء فى كلامهم وتصرفاتهم، لا يقابلون الجهل والسفه بمثلهما بل يقابلونهما بالحكمة وفصل الخطاب والإغضاء عن السفهاء، وهم هؤلاء العقلاء الذين لا يستفزهم الباطل مهما علا صوته، وهم جادون فى توفير العدل والعيش فى حمايته غير منصتين إلى أصوات الباطل ومن يحاورون ويداورون، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ (٤)، فلا يخالطونهم ولا يصاحبونهم، ويسلمون عليهم تسليم توديع ومتاركة لعلهم يثوبون إلى رشدهم.

والإسلام يدعو إلى السلام العالمى؛ ليكون أساسًا لإسعاد البشرية، وطرحه على الساحة الإنسانية منذ تكوينها؛ فقد أنجى آباء البشرية الأولين مع نوح حين عمَّ الطوفان الأرض فأعطى وأثمر البذرة الأولى للإنسانية بأن أنقذهم بسلام لتستمر قافلة الحياة فى المسير، ووعد هذه الذرية

---

(١) النساء : ٩٠ .

(٢) الأنفال : ٦١ .

(٣) الفرقان: ٦٣ .

(٤) القصص: ٥٥ .

بالسلام إذا سارت على درب العبادة لمولاها وخالقها ورازقها، ومن ضلّ هذا الطريق سيفقد السلام والأمن، وناهيك بأن الواهب للسلام هو المولى سبحانه وهو القادر عليه، قال تعالى: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ (١)، فقد جعلهم محفوظين من جهته، مُسلَّمًا عليهم، مكرمين تحفهم البركات والخيرات من لدنه، وجعل ذلك السلام مبذولاً منه لكل المؤمنين الذين يسيرون على الدرب ، ويدخل فى ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى قيام الساعة، وهناك أمم تنشق على هذا الأمر فتنبذ السلام فتعيش فى شقاء الدنيا والآخرة.

وقد جعل المولى سبحانه يوم القيامة والجزاء يومًا مهمًا لتحقيق السلام، الذى فقده العالم فى دنياه المتنازع عليها، فالذين عاشوا فى الدنيا محققين جوانب السلام عاملين على نشره لهم عند الله من جنس ما قدموا، قال تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمًا ﴾ (٢).

والمؤمن الطائع الذى ينفذ تعاليم الإسلام يجازى بالأمن والسلام، فالجنة هى دار المتقين هيئت لتكون دارًا للسلام والأمن والاستقرار، يسلم أهلها من كل مكروه، قال تعالى: ﴿ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ (٣)، وقد أضاف الجنة إلى نفسه تعظيمًا لها، لتكون دار السلامة من كل آفة وضرر وكدر، وهم فى حماية المولى سبحانه ﴿ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ فى حنانه ورعايته، ولا خصام فيها ولا نزاع ولا ضغينة، يقول تعالى: ﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (٤)، فهم يسبحون المولى فى الجنة، ويحيى بعضهم بعضًا بالسلام، وتحييهم الملائكة ويحييهم ربهم الذى أكرمهم؛ لأنهم كانوا أهل السلام فى الأرض .

---

(١) هود : ٤٨ .

(٢) الأحزاب : ٤٤ .

(٣) الأنعام : ١٢٧ .

(٤) يونس : ١٠ .

وناهيك أن يدعو المولى سبحانه الناس جميعًا أن يكونوا دعاة سلام؛ لأنه أعد لهم جزاءه وافيًا فى دار السلام ويبشرهم بإعدادها من أجلهم، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ (١)، وقال تعالى : ﴿ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴾ (٤)، فهم يجزون أغلى الجنان بصبرهم على الطاعات وبعدهم عن الشهوات، وصبرهم على أذى الكفار ومجاهدتهم، والتحية دعاء بالخير والسلام ودعاء بالسلامة من كل سوء، فهم خالدون فى الجنة مع السلامة من كل آفة.

وكل ما يسمعونه فيها سالم من العيب والنقيصة، قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ (٥)، وقال تعالى: ﴿ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ (٦)، وقال تعالى: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴾ (٧)، هذا نداء المولى عز وجل للمؤمنين دعوة إلى السلام الخالد .

ما أعظم الإسلام ومبادئ الإسلام التى تنادى بالأمن والحماية لمن يريد الأمن والسلام، فإذا استعر الخلاف وتدافعت الآراء وحدث النزاع الفكرى والاجتماعى بما يؤرق الأفراد والجماعات

---

(١) يونس : ٢٥ .
(٢) الواقعة : ٢٥، ٢٦ .
(٣) مريم : ٦٢ .
(٤) الفرقان : ٧٥ .
(٥) الرعد : ٢٣، ٢٤ .
(٦) إبراهيم : ٢٣ .
(٧) ق : ٣٤ .

والمجتمعات يمكن القضاء على ذلك كله بتطبيق تعاليم الإسلام ونظمه؛ ففيها القضاء على شهوات النفس ونزعات الأهواء، فإذا نزغ الشيطان بين الناس ففى حصن الإسلام المنيع الحماية والاطمئنان إلى الوصول إلى العدل المطلق وتوفير السعادة للبشر، حيث ينال صاحب الحق حقه ويقضى على الباطل والباغى، وتموت الرغبات الجامحة، وتنكشف الغشاوات عن العيون الضالة الزائغة لتثوب إلى رشدها؛ إذ هذه الأحكام التى اشتمل عليها الإسلام من عند الله الحكيم الخبير.

ما أعظم السلام إذ ما أجدر أن تسعى إليه الأمم لتحقيق سعادتها وإنهاء شقاوتها!!